الفضاء وغواية الألوان

□ من المعرض □

عشرون لوحة فنية كبيرة، واغلبها في مقطعين، واثنتان في اربعة. مما يحيل عمل الفنان في لوحاته إلى السيرورة الفنية لجهة التتابع والتواصل. وهذه حصيلة معرض الفنان هانيبال سروجي في صالة جانين ربيز. بإدارة نادين بكداش، حيث في طقوسيات العرض التشكيلي. وكانما رست نادين على فنانيها الذين يعرضون عندها. كل عام، والبعض كل عامين واكثر. لكنها مصرة على العرض في زمن خفوت الثقافة وانسداد السوق التشكيلي التبادلي، وهي لذلك شغوفة بالعمل أكثر فاكثر على التشكيل. كانما لإكمال سيرة والدتها التي صارت سيرتها هي، المهم ان العرض في صالتها مشوق دائماً ومفاجئ واحد فنانيها الذي يأتي من الخارج هانيبال سروجي حيث تجربة هذا الفنان مغامرة على كل صعيد. التشكيل والتلوين. والمفهوم الغنائي. والبحث عن حرية الفعل الدرامي التشكيلي في لوحته حيث تحس انه يبعثر فيها ورود مائية جارية. وخطوطاً هندسية تتفاصل فيها وتجد في الألوان سطوعاً وتوهجاً. حرارة وحميمية، تقرب من احتفالية العين، والاحتفاء بالبصر والبصيرة. وكان لديه جلغمات الوان. فيما لديه نش ونفش للألوان. وصداح وشقشقات حين يقول كانه يرسم احوال العصافير. ويعتبر لبنان بجمالياته بين الجبل وفقش الموج كما يقال القفص. وهو المهاجر في كندا وفرنسا والباحث عن الحرية للخلاص من كابوس الحرب. والاستبداد والتخلف، غير ان الرؤيا التي يراها شرقية إشراقية في لوحة البعد الواحد التي يورق بعض مسافاتها ومساحتها بالألوان. ويترك الخامة كما هي عذراء مشدودة إلى اللوحة، تشتهي الألوان، وربما تصدر الأنين بجانبها فهو يموسق لوحته من جانب. ويلعب بالأضواء، والاهازيج والجذل اللوني الذي يقارب الرقص والغناء. فيما الإيقاعات راقصة. رغم أن اوحاته مرايا جسدية وروحية، تنصرف إلى تدوين نفسها مما يحلم الشاعر الفنان فيها مما يشعر ويحس. ومما يتقد في دخيلته من دفء وشموس.

إنها مغامرة تجريدية غير معهودة كثيراً. وكانما تخصه فقط. فهو في معارض سابقة وعند جانين ربيز نفسها اثر اللوحات المحروقة. اي المليئة بثقوب كانما حرقت بسيجارة. وهوامش هذه الثقوب البنية والسوداء. واحافير النفس التي ترجم من خلالها حرائق لبنان. او حرائق الانفاس والرئتين. والأحلام نجد آثارها هنا. لكنها تصدى في جانب منها بمساحات لونية. كانما النقش إلى جانب السطح. والحفر إلى جانب الملاسة. وكانه في اطوار لوحاته وطرزها يحاول فهم تطوحات وجموحات. وارتعادات وارتعاشات روحه وجسده للوصول إلى الينابيع الإنسانية في الحب خاصة لجهة الغبطة والحبور اللذين توحي بهما الوانه. وحركة عصبه وريشته وملوانته.

حتى في الألوان البكر والبيضاء لكنه وكانما يخالط هذه الألوان بانفاسه على اللوحة، حتى تبدو وكانها وضعت الآن. لم تجف في غضارتها ونضارتها وسيولاتها المائية ورهافتها وشفافياتها التي يتقصدها في الغنائية والتجويد والتطريب، مقابل هندسات عمودية شاقولية. ومساحات ملونة، منضبطة عقلانية كالخطوط التي تتقاسم هذه اللوحات وتتفاصل في عناصرها المكونة.

ولا شك ان الفنان في سهوه وسهومه. وفي يقظاته ومناماته. ربما تراوده الصور المبعثرة المجزاة. عن الطبيعة والعالم. فيتصادها، ويتنافدها ويتحول وينزاح من خلالها إلى تبقيع لوني حاسر وغامر وأسر. وربما ينطوي على اساطير وخرافات. وكثير من لواعج الحب، حيث تناغم الألوان ترجمة لفرح عاشق بالحب والحياة، وربما اقنعة لتمويه حصارات الإستبداد، وتوليف الحرية اللائقة بالانسان كما هي لائقة بالطير. يحوم ويحلق في فضاءاتها وفراغاتها، واثيرها. وكانه بيقظة الفراغات التي لديه يتصامت عن اشياء يريد أن يتراسمها فيما بعد. وأراد التارجح بحرية في هذه المساحات دون ان يستطلع الوانها واحافيرها، كما فعل ببعض اللوحات. رغم أن مجاميع لوحاته كبيرة وشاسعة. وتقدم مجالات للتعبير. وعبث الألوان واللعب بها والتماتع والنشوة من توهجها والتماعاتها. ومقابساتها مع الشموس واقواس قزح. ومع الغناء والتغريد. ومع الهندسات المرئية واللامرئية التي يرودها روداً شهياً شجياً في ان معاً..!

وكان الفنان هانيبال السروجي الذي يتشارق في لوحاته. ويتشافق ويتغاسق. ويشعل حرائق ويهندس الهواء والأثير والفضاءات، يحاول قراءة نفسه، ومكابدتها برسائل جمالية. لا نعرف إن كان يرضى عنها بعظمة فراغاتها. او كان يستجيب لأسئلتها الجمالية، فهو يتأثر نفسه ويستبصر جسده وروحه للوصول إلى الأحافير والردميات والأنقاض والقيعان، من خلال التضاريس والرسو والرسوب إلى جيولوجيا الأعماق حيث لديه ما يدوي ويحمحم ويدمدم. ولديه ما يدونه من الوجد والجوى والحنين والأحلام. إنه يتغذى مما في دخيلته، ويصحو ويمحو، ويتصاهر ويتمازج بكل هبوب واندلاع وزوبعة الأصوات. والعطور والموسيقى والايقاعات، وكل الشجن الناعس الذي يحتمل ان تتفارح فيه وتتحازن، تبعاً لمزاج الألوان. ونكهاتها المائية السرابية..!